جريرة مترجم عربي

معن البياري

تعلقت حلقة الأربعاء الماضي من برنامج «قراءة ثانية» (تقديم محمد البحياني) في تلفزيون العربي بما سمّتها «العلاقة الملتبسة» بين العرب والنازية، فتداولت في تلك العلاقة التي جمعت الفلسطينيين، وخصوصاً مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، ومعه عرب ومسلمون كثيرون، بالمانيا. وقد أجاد الضيفان المشاركان، وهما أستاذان جامعيان مختصّان، عمر رياض في بلجيكا والمهدي ساجد في ألمانيا، في عرض مقاربة لتلك العلاقة في سياقاتها ولحظتها ورهاناتها، مع التأشير إلى دوافع وطنية كانت لدى المفتي الحسيني (وغيره) من أجل القضايا العربية والإسلامية، ومعلومٌ أنّ ثمّة تلويناتٍ كثيرة تُرمى بها تلك الصلات العربية النازية، كما أنّ توظيفاً صهيونياً دعائياً نشطاً لها، يغيّب حقائق وبيالغ في سرديات موهومةٍ أو نقولاتٍ من أرشيفاتٍ تحتاج إلى فحص تاريخي وتحليلي ومقارن قبل التسليم بصدقية مرويّاتها. لم يكن في وسع حلقة تلفزيونية أن تحاكم تلك «الالتباسات»، إلا أنّ ما بسطه الضيفان فيها أفاد في جلاء ما أمكن. وهي تتيح لصاحب هذه الكلمات الإتيان، في عجالته هذه، على واحدٍ من أهم الكتب التي صدرت مترجمة إلى العربية في العام المنصرف (2021) «في سبيل الله والفوهرر... النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية» للمؤرّخ الألماني، الإيراني الأصل، ديفيد معتدل، نقله إلى العربية محمد صلاح علي (مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، 2021)، وكان قد صدر بالإنكليزية في 2014 عن منشورات جامعة هارفارد (تُرجم إلى ثماني لغات). وفي أصله أطروحة دكتوراة في جامعة كامبردج. وأول ما يلفت فيه الجهد البحثي الهائل، فقد تقصّى الكاتب معلوماته من أرشيف ووثائق ومحفوظات وكتب ومذكّرات ومراسلاتٍ عديدة، ولذلك، ليس يسيراً على معلّقٍ متعجّلٍ أن يتصدّى لما جاء به الكتاب، لحاجة أمر كهذا إلى جهد كبير في التنقيب والفَحص، وهذه صفحاته (بالعربية) تبلغ 670، منها 250 صفحة للهوامش والحواشي والمراجع والكشّاف (!). الكتاب معنيٌّ، أساساً، بمنظور ألمانيا النازية إلى الإسلام والمسلمين، وطرائق استخداماتها لهما في صراعاتها وتحالفاتها وحروبها، ولا يكترث إلّا في حدود، بالذي كان يعني المسلمين من هذه العلاقة مع ألمانيا. ولذلك كان اختيار المؤلف عنوان كتابه بالإنكليزية دقيقاً «Islam and Nazi Germany's War»، فيما جاء العنوان الرئيسي له في الطبعة العربية «في سبيل الله والفوهرر...» غير دقيق، مضلّلاً في تسمية أصحّ، تجارياً في توصيف أصوب، سيئاً في نعت أنسب. ذلك أنّ قارئ الكتاب لا يخلص تماماً إلى أنّ العرب والمسلمين الذين أقاموا صلات مع ألمانيا النازية لم يفعلوا هذا من أجل هتلر، ولا من أجل ألمانيا، ولا عمالة، وإنما وسيلة لتحصيل مصالح عربية، وإذا كانوا قد أخفقوا، أو أخطأوا في حساباتهم، فإنّ هذا الحكم (السهل) لا يسوق إلى ما أراده المترجم العربي أن ينطبع في أفهام القرّاء العرب ومداركهم. وإذ يفيد محمد صلاح علي بأنّ التعديل في العنوان تم بالاتفاق مع الناشر (الأميركي) والمؤلف، فإنّه لم يكن في حاجةٍ إلى هذه «التجارية» النفعية، المؤذية بالضرورة، وكان الالتزام بالمسمّى الأصلي للكتاب يؤكّد الإخلاص لفكرته. والبادي أنّ ثمة تحيزاً لدى المترجم عندما وضع على الغلاف صورة أمين الحسيني يحيي مسلمين بوسنيين مجندين في زيارته معسكراً لهم في مارس/ آذار 1942، الأمر الذي لم يفعله ناشر الطبعة الأصل باللغة الإنكليزية (فعل هذا الناشر الفرنسي، وهذا شأنه، وإن كانت الصورة أقل إيحاء). ووجه الغرابة هنا أنّ محمد صلاح علي يوضح، في مقدمته، أنّ الكتاب هو «أشمل تقصّ لعلاقة ألمانيا النازية بعالم الإسلام والمسلمين، فهو بلا جدال، أوسع من جميع الكتب والنشر التقليدية التي ركّزت على علاقة أمين الحسيني، مفتي القدس، بالنازي» غير أنّ الصورة على غلاف الطبعة العربية تأخذنا إلى التركيز على هذه العلاقة، وإذا كان من نقاش لازم، علمي، لحضور الحسيني في هذا الكتاب الشديد الأهمية، سيما في ما يتعلق ببعض التوصيفات وبالنبرة (هل هي الترجمة؟)، من الضروري الانتباه إلى شعور المفتي بزعامته الإسلامية في زمنه، ما جعله يجد في نفسه مسؤوليةً في تسليح المسلمين البوسنيين الذين تعرّضوا لحروب ومذابح في أوائل الأربعينيات، قضى منهم فيها نحو مائتي ألف (يورد الكتاب تفاصيل)، فأدّى، بتسهيلاتٍ ودعم من النازي الألماني، زيارته لهم، وحدّثهم إلياً عن فلسطين، الأمر الذي لا تنطق به الصورة المتكرّرة الاستخدام في الدعائيات الصهيونية...

شكراً «قراءة ثانية» أتاح التنبيه إلى جريرة مترجم عربي.

غابة من الأعداء

معدوح حمادة

عندما كنّا صغاراً، كنا نتجول بين دور السينما التي كان لها رواد في ذلك الوقت، وكنا لا نفضل قصص الحب الذي لم تكن هرموناته قد اندلعت في دمائنا. وكنا نفضل الأفلام الحربية التي كانت في معظمها أفلام كاوبوي أو من الحرب العالمية. وكانت هناك أفلام كثيرة تستقي موضوعاتها من الفترة الرومانية، وفيها معارك سيف وترس حامية الوطيس. وكان يسبقنا مستطلعٌ إلى واجهة السينما، حيث تُعرض هناك صور من الفيلم، فيعود إلينا خائباً أحياناً، قائلاً: «فيلم حب»... فنعود على أعقابنا باحثين عن دار سينما أخرى، فإذا كانت الصور المعروضة هناك لفيلم حربي من تلك التي تحدثت عنها أعلاه تشرح صدورنا ونقرر مشاهدته، وسواء كان الفيلم من أيام الرومان أو كاوبوي كنا نسأل من سبق أن شاهده «إيّاهم معنا وإيّاهم مع إسرائيل؟» فيجيب على سؤالنا ويشير إلى الشخصيات التي في صفنا والشخصيات التي في صف إسرائيل. وندخل إلى الفيلم نحمل من شخصياته موقفاً مسبقاً، لم يكن لدينا في ذلك الوقت سوى عدو واحد هو إسرائيل.

بعد ذلك، نضجت الهرمونات، وصرنا نشاهد أفلام الحب، ولم تعد أفلام الحرب تستهوينا بالقدر نفسه كما في السابق. وأصبحنا أيضاً نكتشف الأعداء خارج إطار هذه الأفلام، الأعداء الذين كانوا يعيشون معنا وليس فقط الذين تفصلنا عنهم الحدود والأسلاك الشائكة وحقول الألغام، وأول عدو اكتشفناه رجل الشرطة الذي كانت مهمته أقرب إلى كلب الراعي الذي تتلخص مهمته في ضبط القطيع، لا خدمة الرعية، يناديه الجميع بـ«سيدي» عندما يجيبون على أسئلته، رغم أنّه ليس سيداً على الإطلاق، يمرّغ أنف أبيك في الوحل، من دون أن تجرؤ الغالبية على الرد، وإن تجرأوا يدفعون ثمناً أغلى. كبرنا قليلاً، وصرنا نفكّر بالسياسة ونتحدّث فيها، فاكتشفنا أعداءً من الفصيلة نفسها تقريباً، لكنّه أكثر شراسةً وأحدُّ ناباً، إنّه رجل الأمن الذي يطلق عليه الناس اسم «مخابرات»، والذي لا يكتفي الجميع بوصفه «سيدي» بل يتجاوز الأمر ذلك، إذ ترتعد فرائصهم أيضاً، حين يتورّطون في احتكاك معه. صرنا نفكّر أكثر فاكتشفنا عمليات نهب كبيرة تتعرّض لها ثروات الوطن، فبرز في وجهنا أعداء جدد، هم رموز الفساد، سلطة، وبيمارسون فسادهم ونهبهم تحت رعايتها، وتتسع الدائرة، حين نكتشف أنّهم ليسوا تحت رعايتها فقط، وإنّما شركاء، لها ووجهها الاقتصادي الخفي. وتتسع الدائرة حين نكتشف أنّ نواب البرلمان الذين تتلخص مهمتهم بالدفاع عن مصالح الشعب يشكلون كتلة من شهود الزور تستدعيهم السلطة كلما احتاجت لهم من أجل تلبيس الشعب موقفاً ما، وكلما توغلت أكثر في اللعبة السياسية اتسعت هذه الدائرة أفقياً وشاقولياً، حتى يتشكل لديك شعور بأنّك تسبح في لجّة من الأعداء، سرعان ما سيغرقونك ويكتمون أنفاسك، ولا تدرك ما عليك فعله، لا بل تدرك أنّك عاجز عن فعل شيء، وأنّ الوقوف في وجه هذه اللجّة ضرب من الغباء والجنون. ولذلك يتأقلم معها كثيرون، ويتحوّلون إلى «عزقات» صغيرة في ألتها، بينما يُصاب الآخرون بالاكتئاب، ويمضون بقية أعمارهم ضمن مساحةٍ من المشاعر السلبية، وإذا فكروا بالتمرّد على هذه الآلة، فإنّها تطحنهم من دون رحمة، لأنّ الضغط، في نهاية المطاف، يصل إلى نقطة لا بد أن يولد بعدها الانفجار، تحدث، أحياناً، تمرّدات تعوّل عليها. لكن، سرعان ما تستولي على هذه التمرّدات دوائر لا تختلف كثيراً عن الذين حدثت ضدهم، ويشكل آلة شبيهة لهم فيها رجل الشرطة المستبد ورجل الأمن الخالي من الرحمة والأخلاق معاً وتجار الحروب ورموز فساد تنتمي إلى سلطة فساد. وتكتشف أنّ دائرة الأعداء تزداد وتزداد، حتى ترى نفسك وسط غابة من الأعداء، لا ترى صورهم في الواجهات الزجاجية لدور السينما، وهم لا يمثلون على الشاشة، وإنّما على مسرح الحياة، حياتك.

الحلول الترقيعية لا تُعالج الأزمات الكبرى المتدحرجة

عبد الباسط سيدا

ما تتسم به الأزمات التي تشهدها غالبية الدول العربية أنّها متدحرجة، تسير من سيئ إلى أسوأ، وهي أزماتٌ تبدو مسدودة الأفق، خصوصا في ظروف عدم وجود قوى وطنية متماسكة، مؤمنة بضرورة استعادة وحدة نسيج المجتمع الوطني الذي لا يمكن من دونه بناء دولة وطنية قوية، تطمئن سائر مواطنيها على قاعدة احترام الخصوصيات والهويات الفرعية ضمن إطار وطني عام، يحقّق التشارك العادل في الإدارة والموارد. بل على النقيض من ذلك، ترى القوى المهيمنة حالياً في المساحات الخاصة بها داخل مختلف تلك الدول في واقع الأزمة والتفكك أرضية خصبة لمشاريعها الفرعية التي قد تتوافق، او تسوّق على أنّها تتوافق، مع أهواء طائفية او قومية او جهوية وقبلية.

وتعود أسباب هذه الأزمات، في جانب كبير منها، إلى إخفاق الأنظمة العسكرية التي تحكّمت بالجمهوريات العربية عقودا في تحقيق أي نهضة متوازنة على المستوى الوطني، نهضة كان من شأنها الحفاظ على الاستقرار المجتمعي، وإتاحة المجال أمام الجميع للاستفادة العادلة من الإمكانات والموارد الموجودة، وذلك عوضا عن أن يلتهمها الفاسدون داخل منظومة الحكم وشركاؤهم. وما زاد الوضع تعقيداً وقتامة دخول القوى الإقليمية على الخط، وهي القوى التي استغلت واقع الانهيارات الداخلية في جملة من الدول العربية، بل أسهمت في تلك الانهيارات، وأصبحت جزءاً من الصراعات الداخلية ضمن تلك الدول في سياق عقلية الاستقواء التي تبنّتها القوى المتخاصمة ضمن كل دولة بقصد الحصول على ما ترى فيه حقها المسلوب، أو فرصتها التاريخية التي لا تفوّت، بغض النظر عن حجم (وطبيعة) التنازلات التي تقدّمها للقوى الإقليمية، وحتى الدولية.

ومن الواضح أنّ الانهيارات الحاصلة لا تقتصر على الدول التي تتسم بالتنوع الديني والمذهبي والقومي، مثل سورية والعراق ولبنان، وربما اليمن إلى حد ما؛ بل تشمل الدول المتجانسة أيضاً، إذا صحّ استخدام هذا التعبير. ويُشار هنا إلى ليبيا وتونس والسودان، مع الأخذ بالاعتبار بعض الخصوصيات الفرعية، والخلاف في ليبيا، على الرغم من أنه قد اتخذ طابعاً جهوياً بين الشرق والغرب، وربما قبلياً، بينما هو خلاف بين قوى تريد الاستئثار والتحكم عبر الورقة المناطقية او القبلية. أما في السودان فقد ظهر الوضع في مظهر الصراع بين القوى العسكرية والمدنية؛ في حين أنّ الأمور في تونس ما زالت متداخلة ضبابية، على الرغم من بروز مؤشرات تفيد بوقوف الدولة العميقة خلف الرئيس.

وبمرور الوقت، تتعمّق الخلافات، وتضمحل فرص التوافق. ومن الواضح أنّ الانتخابات التي تسوّق عادة لتكون مفتاح الحل في هذه الأزمات المستعصية لم ولن تؤدّي إلى المطلوب إذا ما ظلت المعطيات القائمة على حالها، ولدينا في المثالين اللبناني والعراقي خير برهان في هذا المجال، فالانتخابات تكون عادة الخطوة الحاسمة ضمن حزمة التوافقات الوطنية، للوصول إلى حل يقنع الجميع على قاعدة المكاشفة، والاكتفاء بالمنافسة الحرة السلمية عبر برامج تعطي الأمل بإمكانية الوصول إلى الأفضل. أما أن تكون الانتخابات وسيلة لشرعنة سيطرة القوى العضوية في هذا المحور الإقليمي أو ذاك، فإنها تكون حينئذ اداة للتعطيل، ومقدّمة لمزيد من الانهيارات والتدخلات.

هل وصلنا إلى مرحلة استحالة التعايش المشترك بين المكونات المجتمعية او المناطقية التي تتشكل منها دول منطقتنا التي تعيش حالياً واقع الأزمات المفتوحة؟ هل أصبحنا أمام واقع «الهويات القاتلة» الذي حذر منه أمين معلوف قبل أكثر من عقدين، وذلك في أجواء الخطاب الطائفي البغيض، والقومي العنصري المقيت، الذي يأت، بكل أسف، جزءاً من الخطاب اليومي المعاش في صفوف قطاعات واسعة من ناسنا المغلوبين على أمرهم، وأمام صمت النخب وعدم جرأتها على مواجهة ما يجري، والتحذير منه، بنفَسٍ وطني جامع؟ أم ما زال لدينا بعض الأمل، وقابلية لتدارك الموقف قبل فوات الأوان؟

ولا يقتصر الواقع المأزوم على الدول العربية المشار إليها، بل يشمل دولاً غيرها، ولكن هذه الأخيرة استطاعت التعايش مع أزماتها الداخلية، وتحاول، بشتى السبل، الإيحاء بأنها مستقرة؛ هذا بينما تؤكد المعطيات الملموسة أنّها أيضاً تعاني من الفساد والمحسوبيات، ويعاني مواطنوها من الأزمات المعيشية، ومن انعدام الفرص العادلة، ويواجه شبابها بقلق كبير ضبابية المستقبل.

> الانتخابات التي تسوّق عادة لتكون مفتاح الحل في هذه الأزمات المستعصية لم ولن تؤدّي إلى المطلوب إذا ظلت المعطيات القائمة على حالها

وحدها دول الخليج ربما تكون حتى الآن في منأى عن الأزمات الداخلية الكبرى، ولكن المخاطر الإقليمية التي تهدّدها، هي الأخرى، جدّية وحقيقية، ويمكن أن تأخذ في المستقبل القريب، وليس البعيد، منحًى أكثر سلبية؛ وذلك إذا ما استمرّت المعادلات والحسابات الدولية وانعكاساتها الإقليمية على حالها. ومن ثمّ، فقد يكون هناك مستقبلاً المزيد من الانتكاسات والتراجعات إذا ما تم التوصل إلى تفاهمات بخصوص الصفقات التي تُطبخ اليوم. منطقتنا في أمس الحاجة إلى مقاربات جديدة على جميع المستويات، على المستوى الداخلي الوطني في كل دولة، وعلى المستويين الإقليمي والدولي، فالحجر الأساس في أي استقرار إقليمي هو الاستقرار الوطني في كل دولة في الإقليم. وهذا لن يتحقق من دون طمأنة جميع المكونات والجهات بمشاريع وطنية تضع حداً للفساد الذي يلتهم الموارد، ويتخندق حمَاته من المليشيات، وحتى القوى النظامية، المرتبطة بمشاريع عابرة للحدود في مواجهة شركائهم في الوطن. وعلى المستوى الإقليمي، المنطقة بأمس الحاجة إلى تفاهمات أساسها المصالح المشتركة، والمنافع المتبادلة. تفاهمات تضع حداً للحروب والمنازعات التي ارهقت الجميع، وتفتح الآفاق أمام المشاريع الاقتصادية النهضوية والأسواق المشتركة؛ وتوفر مزيدا من فرص التعليم والعمل أمام الجيل الشاب، فمثل هذه التفاهمات، إذا ما تحقّقت على أرضية صلبة تستند إلى الثقة المتبادلة، والشعور المشترك بإمكانية تحقيق الانتفاع المتبادل، فإنّها ستضع حداً لكل أشكال التطرّف والإرهاب التي تولّد الأحقاد الشمشونية المدمّرة للاجتماع والعمران.

تمتلك منطقتنا من الطاقات والموارد التي تمكّنها من بناء علاقات دولية متوازنة مع الدول الكبرى والصغرى في مشارق الأرض ومغاربها، في شمالها وجنوبها؛ وذلك على أساس المصالح المشتركة، ومن دون اتخاذ أي موقفٍ مُتحيزٍ أو عدائي لصالح هذا الطرف أو ذاك، في مواجهة هذا الطرف أو ذاك.

هل نحلم إذا أكدنا حاجة منطقتنا مستقبلاً إلى منظمة إقليمية تجمع بين دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، هدفها الرئيس يتمحور حول المصالح الاقتصادية المشتركة التي سيستفيد منها الجميع. ولكن قبل ذلك كله لا بد من وضع نهاية للحروب والتخندقات والصراعات التي تقطع الطريق أمام أي فكرةٍ للتعاون الاقتصادي التنموي.

لن يكون الطريق إلى تحقيق هذا الهدف - الحلم سهلا بطبيعة الحال، بل يبدو أنّه في دائرة المستحيل راهناً، ولكنه هدفٌ يستحق بذل الجهود من أجله في كل الميادين وعلى مختلف المستويات، خصوصا من خلال الحوارات الهادئة بين النخب من سائر الاختصاصات. كما أنّ هذا الهدف يستوجب إعادة النظر في مفاهيم ومواقف كثيرة، ويتطلب القطع مع المشاريع التوسعية، والنزعات العاطفية الانفعالية السلبية بأشكالها وتمظهراتها المختلفة. وقبل هذا كله وذاك، لا بد من تحقيق الوئام المجتمعي ضمن كل دولة، عبر ترسيخ أسس الثقة المتبادلة بين جميع المكونات، والقطع مع الاستبداد والطغيان، وتحسين قواعد العيش المشترك، وذلك كله لن ينجز من دون وجود قوى سياسية - اجتماعية بقيادة حكيمة عادلة متبصّرة، ملتزمة بالأولويات الوطنية، ومقتنعة باهمية المشروع الوطني العام الذي يبدد هواجس الجميع وضرورته.

(رئيس سابق للمجلس الوطني السوري)

هذه الحسابات التركية والروسية في كازاخستان

محمود علوش

فجأة، تحوّلت كازاخستان، الدولة الهادئة في قلب آسيا الوسطى، إلى بؤرة اضطراب لم تفاجئ فحسب نظام الرئيس قاسم جومارت توكاييف، بل أيضا قوّتين إقليميتين تتنافسان على النفوذ في الفضاء السوفييتي السابق، روسيا وتركيا، فلم تكد تمضي بضع ساعات على دعوة توكاييف منظمة معاهدة الأمن الجماعي التي تتزعمها روسيا إلى مساعدة نظامه في إنهاء الاحتجاجات الشعبية الواسعة على رفع أسعار الطاقة، حتى استجابت المنظمة لطلبه وأرسلت قوات عسكرية إلى كازاخستان. ويُفيد طلب توكاييف هذا بأن نظامه فقد السيطرة على الاحتجاجات مع تحوّلها إلى عنف مُسلح. وبالنظر إلى الزخم العسكري لروسيا في هذه المنطقة، فإن تدخّلها العسكري لدعم نظام توكاييف لم يُساهم فحسب في تحويل مسار الاضطرابات لصالحه، بل شكّل كذلك مناسبة لموسكو لاستعراض قوتها في إحدى أكبر الدول السوفييتية السابقة، الناطقة بالتركية، وفرصةً أيضاً لإظهار تحدٍّ غير مباشر لتأثير أنقرة المتنامي في هذا البلد والدول الأخرى الناطقة بالتركية.

كان التدخّل العسكري مفاجئاً من حيث التوقيت، فهو جاء بعد ساعات فقط من بيان للكرملين يؤكد فيه ضرورة معالجة الأزمة الداخلية في كازاخستان عبر الحوار، ويُحذّر من أي تدخل خارجي. ولكنّ التدخّل الخارجي حصل بعد ساعات بالفعل من موسكو وليس من أحدٍ آخر. هنالك عدّة أسباب رئيسية دفعت الرئيس فلاديمير بوتين إلى اتخاذ هذا القرار. أولاً، يأمل بوتين أن يحول التدخل العسكري دون تغيير في السلطة في هذا البلد الذي جعلته موارده الهيدروكربونية الهائلة القوة الاقتصادية الرئيسية في آسيا الوسطى، بما يُهدّد مصالح روسيا المهمة فيه. وقد مهّدت روسيا بالفعل لهذا الخيار من خلال تلميح مقلّقٍ مقزّزٍ من الكرملين إلى أن الغرب يسعى إلى إثارة ثورة ملونة في كازاخستان، بغرض زعزعة استقرار روسيا، بينما تستعد للتفاوض مع الغربيين بشأن الضمانات الأمنية لمنع تمدد حلف شمال الأطلسي (الناتو) على حدودها الشرقية. ثانياً، يُريد بوتين إبداء الحزم مبكراً في مواجهة احتمال تمدّد الانتفاضة الشعبية في كازاخستان إلى الدول المجاورة الأخرى التي لديها وضع مشابه لكازاخستان، من حيث طبيعة الحكم السلطوي، وتتوق شعوبها إلى التغيير السياسي. ثالثاً، تختبر الأزمة التأثير الروسي على دول الفضاء السوفييتي السابق.

خلال حربٍ كاراباخ أخيرا بين أذربيجان وأرمينيا وانخراط تركيا عسكرياً فيها، أدّى امتناع موسكو عن تقديم الدعم العسكري لأرمينيا إلى إثارة شكوك بشأن قدرتها في الوفاء بالتزاماتها تجاه حلفائها الموثوقين، ومدى استعدادها للحد من النفوذ التركي المتنامي في الجمهوريات الناطقة بالتركية، منذ وصول بوتين إلى السلطة، بدأت موسكو تُركّز، بشكل أكبر، على إعادة بناء هيكل إقليمي لتعزيز نفوذها في الدول السوفييتية السابقة، عبر منظمة معاهدة الأمن الجماعي والاتحاد الجمركي. في المقابل، سعت الدول المستقلة حديثاً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، بما في ذلك كازاخستان، إلى إنشاء مؤسسة يُمكنها معالجة مشكلات الاقتصاد والطاقة في المنطقة وكانت فكرة الاتحاد الأوروبي الأسيوي التي روّجها رئيس كازاخستان السابق، نور سلطان نازاربايف، محاولة للحفاظ على تعاون وثيق مع روسيا من جانب، ولتحقيق توازن ناعم ضد النفوذ الروسي من خلال التعاون مع بلدان رابطة الدول المستقلة الأخرى. ولكنّ نزعة بوتين لإعادة الهيمنة على هذه الدول شكّلت تحدّياً لكازاخستان على وجه الخصوص. فمن جانب، لديها حدود طويلة مع روسيا، كما أنّ العرق الروسي يُشكل غالبية في مناطقها الشمالية. ومن جانب آخر، قوّضت السياسة الروسية جهود نازاربايف لتنويع الخيارات الخارجية، بما في ذلك تعزيز الروابط مع تركيا والانخراط بفعالية في مجلس الدول الناطقة بالتركية. شكّلت تركيا خياراً مثالياً لكازاخستان، لإحداث التوازن الذي تطمح إليه مع روسيا، فبالإضافة إلى الروابط العرقية والدينية، تُعتبر أنقرة رابع أكبر مستثمر أجنبي في كازاخستان بعد الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية والمملكة المتحدة. كما تتصدّر قائمة الدول التي لديها أكبر عدد من الشركات التي استثمرت في الاقتصاد الكازاخستاني، بعد زيارة نازاربايف إلى أنقرة في عام 2012، وقع بنك التنمية والبنك الكازاخستاني التركي مذكّرة تفاهم لفتح خط ائتمان بقيمة 250 مليون دولار. كما وقع البلدان خطة لتنفيذ برامج اقتصادية مشتركة تهدف إلى زيادة التجارة الثنائية من 3,3 مليارات دولار في عام 2011 إلى 10 مليارات دولار في 2015. وعندما شرعت روسيا في تأكيد سلطتها السياسية والاقتصادية على مناطق آسيا الوسطى وبحر قزوين، لجأت كازاخستان إلى سياسة التوازن الاقتصادي الخارجي، من خلال المشاركة في مشروع خط أنابيب باكو - تبليسي - جيهان، فضلاً عن التعاون الاقتصادي مع تركيا. وقد أضحى هذا التوجه أكثر فعالية لجهة تحسين وضع كازاخستان التفاوضي مع روسيا في مجال الطاقة. لدى كازاخستان وتركيا مقاربات متشابهة لقضايا دولية وإقليمية عديدة، وبناءً على التقارب العرقي والثقافي والاعتبارات العملية، اختارت كازاخستان اتباع النموذج التركي للتنمية للتغلب على مشكلاتها الاقتصادية خلال المراحل الأولى من استقلالها. قدّمت كازاخستان أيضا مساهمات حقيقية في تنظيم مؤتمرات القمة لرؤساء البلدان الناطقة بالتركية، ولعبت دورًا مهمًا في تأسيس مجلس التعاون للبلدان الناطقة بالتركية والجمعية البرلمانية للبلدان الناطقة بالتركية. في ضوء ذلك، اعتبرت كازاخستان تركيا قوة لتحقيق الموازنة مع روسيا. لكن، في وقتٍ امتلكت فيه تركيا القوة الناعمة والموروث العرقي والديني والثقافي لإعادة إحياء دورها التاريخي في العالم التركي في آسيا الوسطى من بوابة مجلس الدول الناطقة بالتركية، سعت روسيا، من خلال منظمة معاهدة الأمن الجماعي، إلى تأكيد نفوذها العسكري على الدول التركية في المنطقة، مثل كازاخستان وقيرغيزستان وأوزباكستان وطاجيكستان.

علاوة على أن توكاييف يأمل في أن يؤدي التدخل الروسي إلى حماية السكرات، فقد أطلع الرئيس قرنيه في كفر الدوّار، فانضرب بقوّة، وانضرب بسرعة، وليس على الشعب سوى أن يرقبنا ونحن نحفر القبر ونهيل التراب (حركات لا تخيفنا، الأخبار، 15 أغسطس 1952). «أن نظلم عشرة أو عشرين من المتهمين خيرٌ من أن ندع الثورة كلّها تذيل وتموت». (محلة روز اليوسف، سبتمبر 1952). «إن ثورة 23 يوليو سنة 1952 ليست سوى الامتداد الطبيعي المباشر لثورة 9 سبتمبر سنة 1881، كلتاهما ثورة قام بها الجيش باسم الشعب، وكلتاهما ترميان إلى تحطيم الاسترقاطية وإعلان حقوق الشعب. لا... بل إن جذور ثورة 9 سبتمبر لترجع إلى ما هو أبعد، ترجع إلى اليوم الذي وقف فيه جمال الدين الأفغاني قبيل خلع الخديوي إسماعيل يخطب في الإسكندرية في الجماهير يقول: أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت منها ما تسد به الرمق، وتقوم بأود العيال، فلماذا لا تشق قلب ظالمك؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة تعابك؟... هنا كانت قد وضعت بذرة الثورة، الثورة على الإقطاع... الثورة على الأرستقراطية، الثورة باسم الفلاحين ومن أجل الفلاحين» (سيد قطب، أكتوبر 1952، «روزاليوسف»). «لا بد من استبعاد الجماهير عن معادلة العمل السياسي، فمن مصلحة الجميع أن يظل الزمام في أيدي قوّة نظاميّة ظاهرة نظيفة كأبطال ثورتنا المجيدة، ومن مصلحة الحمقى ألّا يقفوا في طرق هذه القوة النظاميّة فهي أقوى ممّا يظنون، وهي ستسحقهم سحقاً... إنّ طريقة القوة المنظمة أسلم من طريقة الجماهير» (سيد قطب، 9 فبراير 1953، «روز اليوسف»). لا تكفي مساحة المقال للاستطراد في الاستشهادات التي تدين صاحب «الظلال» رحمه الله، والتي كتبها في نشوة إحساسه بانتصار جيله، واقترابه من أحلام المثقف الرومانسي بالاستقلال، وحكم أبناء الفلاحين لأنفسهم وبلادهم. لا أبرّئ سيد قطب من أخطائه ولا أختزله فيها، إنّما أقرأه في سياقه وتاريخه، وأضع أخطاءه وخطاياه (وإن شئت جرائمه)، في حجمها الطبيعي، فأجده مثقفاً غاضباً، ليس عاقلاً بقدر ما هو مخلص، ضلّ طريقه إلى لعبة السلطة، وما كان له أن يفعل، فهي خطرة قذرة لا ينبغي أن يتورّط فيها إلّا من يدرك أبعادها. الأمر نفسه ينطبق على كثيرين، هنا والآن، في معسكري السلطة والثورة على السواء. (كاتب السطور أولهم). مثقفون ونشطاء، وكُتاب وإعلاميون (بل وسياسيون)! لا نبرّئهم من أخطائهم، ولا نختصرهم فيها. ونسمح لأنفسنا، بعد إذن وريثة المظلومية والكراهية إلى ما لا نهاية، أن ننظر إليهم بعين النقد تارة، والرحمة أخرى، وهو ما يحتفظ للأفراد بإنسانيتهم، وللمجتمعات بقدرتها على التجاوز والمواصلة. جمهورية الرعب لا تصنعها سياسات الاستبداد وحدها، إنّما حماقاتنا أيضاً، مع الأسف.

> طلب توكاييف المساعدة الخارجية خطوة مصيرية لكازاخستان بشأن مساعيها الطويلة للموازنة بين النفوذين التركي والروسي عليها

كاريكاتير

عماد حجاج

سباق التسلّح في الخليج

سامر خير احمد

تسرّبت تقارير استخبارية إلى وسائل إعلام أميركية، تُظهر أن السعودية تصنع صواريخ باليستية بالقرب من بلدة الدوادمي (200 كلم غرب الرياض) بالتعاون مع الصين. لم تعلّق السعودية على الخبر، لكن الخارجية الصينية قالت إن البلدين شريكان استراتيجيان، وتعاونهما العسكري لا ينتهك القانون الدولي من جهة انتشار أسلحة الدمار الشامل، من دون تفاصيل.

في الأثناء، علّقت الإمارات مفاوضاتها مع الولايات المتحدة لشراء 50 طائرة حربية من طراز F35، وطائرات مسيّرة من طراز 9B-MQ وذخائر عسكرية، بقيمة 23 مليار دولار، وأرجع مصدر رسمي إماراتي الأمر إلى «المتطلبات التقنية والقيود السيادية والعملياتية وتحليل المنفعة مقابل التكلفة»، ما يبدو أنه يتعلق بشروط أميركية تستهدف ضمان عدم اطلاع الصين على تكنولوجيا هذه الطائرات المتطوّرة، بعد أن كانت الولايات المتحدة ضغطت على الإمارات لمنع إنشاء قاعدة عسكرية صينية في أبوظبي، لم تكن معلنة. وكانت الإمارات أبرمت قبلها بأيام صفقة مع فرنسا لشراء 80 طائرة حربية من طراز رافال المتطورة بكلفة 19 مليار دولار.

لا تمكن قراءة هذا المشهد الجديد في الخليج بمعزل عن سياسة إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، بشأن إعادة صياغة معادلة وجود الولايات المتحدة العسكري في الخليج، وسحب عديد من قواتها من المنطقة وإعادة نشرها لصالح التركيز على شرق آسيا والمحيط الهادئ، عوضاً عن الشرق الأوسط، إذ يبدو أن الأمر الذي دفع الدولتين الخليجيتين إلى التفكير بالاعتماد على الذات في سياستهما الدفاعية، خصوصاً مع إعادة واشنطن التفاوض مع إيران بشأن الملف النووي.

المسألة الأساسية أن الاتفاق مع إيران، الذي أبرمته إدارة باراك أوباما عام 2015، ويبدو أن إدارة بايدن تريد العودة إليه، ركّز على البرنامج النووي الإيراني، وتجاوز نشاطها في تصنيع الصواريخ البالستية التي يعتقد الأميركيون أنه لا يمثل خطراً داهماً، لأن إيران غير قادرة على تصنيع صواريخ عابرة للقارات في وقت قريب، رغم تطور صناعاتها الصاروخية في العقدين الأخيرين، وانتقالها من الصواريخ التي تعتمد على الوقود السائل إلى التي تعتمد على الوقود الصلب، ويسهل تحريكها وتخبئتها ونقلها، وإنتاجها أنواعاً من الصواريخ البالستية قصيرة المدى ومتوسطة المدى التي يمكنها الوصول إلى شرق أوروبا، إذ تعمل هذه الصواريخ التي تمتلكها إيران بواسطة محرّكات منخفضة الدفع، وثمة فروق تقنية كبيرة بين منصّات إطلاقها ومنصات إطلاق الصواريخ عابرة القارّات التي لا تتوفر طهران على تقنياتها المتطورة. ولم تكن إدارة ترامب التي تراجعت عن اتفاق أوباما مع طهران راضية عن عدم تضمين برنامج الصواريخ البالستية والنشاط الإيراني مع الحركات المسلحة في محيطها الجغرافي، خصوصاً حزب الله، في اتفاق، وهو ما يبدو أنه كان مصدر ارتياح للسعودية. وهكذا يكون طبيعياً أن تشعر السعودية بالقلق من التراجع عن تقييد النشاط الصاروخي الإيراني، وأن تسعى إلى إحداث حالة من «توازن الردع» مع إيران، منافستها الإقليمية الرئيسية. وجدت السعودية والإمارات مساحة للتعاون العسكري مع الصين التي تعمل على توسيع حضورها الدولي في مختلف المحافل، تعويضا عن تغيير السياسة الأميركية تجاه المنطقة. لكن اللافت أن الصين التي تقدم هذه المساعدة العسكرية غير المسبوقة للسعودية والإمارات هي ذاتها التي أبرمت قبل شهور اتفاق تعاون استراتيجي مع إيران مدته 25 سنة، يضمن أن تضخّ الصين ما قيمته نحو 400 مليار دولار في الاقتصاد الإيراني.

وهكذا، ربما تجد إدارة بايدن نفسها مضطرّة لمراجعة توجهاتها العسكرية والسياسية تجاه المنطقة قريبا. وبذلك تكون الصين نجحت في كبح جماح الاندفاعة الأميركية تجاه استهدافها، وأعادت إشغالها بقضايا حلفائها التاريخيين، ومنطقتهم المتوترة، عوضاً عن التفرّغ لمنطقة شرق آسيا، مستعملة الحكمة القديمة التي تجعل الهجوم خير وسيلة للدفاع!

(كاتب من الأردن)

> ربما تضطرّ إدارة بايدن لمراجعة توجهاتها العسكرية والسياسية تجاه المنطقة

كان وحيداً وحدة السيف في غمده

عيسى الشعيبي

من غير استهانةٍ بأي مظهر تضامن مع ال

السودان وانسداد الأفق

جمال محمد إبراهيم

(1)

ثمّة سيارة تسير بلا كوابح في طريق شديد الانحدار، ركّابها في داخلها يصرخونَ، ومن يجلس في مقعد القيادة عاجز عن الإمساك بعجلة القيادة. بعض شهود ذلك الاندفاع، ينظرون في لامبالاة، وبعضهم الآخر أخذهم الذهول مما رأوا، وقليل منهم من اهتم بتنبيه قائد السيارة محذراً من أنّ منحدراً على وشك أن تهوي إليه تلك السيارة في اندفاعها المريع. لكن هل تستطيع سيارات شرطة المرور اللحاق بتلك السيارة قبل سقوطها في ذلك المنحدر المخيف، أم سيتركونها آخر الأمر لمصيرها المحتوم؟ ذلك أشبه بحال الأزمة السياسية في السودان، تتفاقم سخونتها بوتيرة عالية، وكأنها في اندفاعها آيلة إلى سقوط وانهيار، أو تشظٍّ، فيما تتصاعد المشاكسات في المشهد السياسي السوداني، بين شباب ثائر في الشارع، يرفع عالياً شعارات الحرية والعدالة والسلام، ولا يثق في جنرالات مُسلّحين يزعمون، وقد انقلبوا على ثورة أولئك الشباب، أنهم الأقدر على قيادة البلاد إلى براحات الحرية والديمقراطية.

يقول التاريخ القريب والبعيد: الاستبداد، منذ الفرعون وهامان وحتى بينوشيه، صناعة عسكرية.

(2)

لا تبالي الأطراف البعيدة بمصائر البلد المنكوب، وكأنه لا يعنيهم سقوطه أو تشظيه أو تلاشيه دفعة واحدة، فيما بعض الأقربين في الإقليم يبدون نوعاً من إشفاق يمازجه شيءٌ من الحرص على مصالح تَخُصّهم، ربما يتهدّدها اضطرابُ أحوال ذلك البلد، من دون شك، إذا بقي على حاله أمدا وارد أن يطول. أجمِل ضمن هذه الفئة دولاً في الإقليم، بينها الإمارات والسعودية ومصر. الدولتان الأوليان تحتفظان، في إطار مواجهة الحوثيين في اليمن، بقواتٍ سودانيةٍ من «الدعم السريع»، التابعة للجنرال حميدتي، نائب رئيس مجلس السيادة وقائد الانقلاب الجنرال عبد الفتاح البرهان. أما مصر فلها مصالح تاريخية وجغرافية، أحدثها أزمة سد النهضة الإثيوبي، وتعاطف السودان مع موقف مصر من ذاك المشروع يشكل ملفا تراهن الإدارة المصرية على دعم جنرالات السودان لها في مواجهة إثيوبيا صاحبة مشروع السد.

لعل المتابعين يرصدون كيف اتبعت هذه الدول الشقيقة الثلاث أسلوباً طابعه الحذر تجاه أزمة السودان. ثمّة تواصل بين من يمثلون هذه الدول مع القيادات السودانية، خصوصا مع الجنرالات الممسكين بالأمور في الخرطوم، ولكنّهُ تواصل مستتر وتشاور خفي، يتمّ، في معظم الأحوال عبر مكالماتٍ هاتفيةٍ لا تعلن، أو بزيارات شبه سريةٍ، يقوم بها بعض الجنرالات السودانيين أو مبعوثوهم إلى عواصمهم، فلا يرصدها الإعلام، ولا قنواته الفضائية، وربما تخرج في تصريحات مقتضبة، لا تعكس كلّ شيء. الملاحظ أن أيا من هذه الدول الثلاث لم ترسل، ولا مرّة واحدة، مبعوثاً عن حكوماتها إلى الخرطوم.

(3)

لعلّ ذلك هو ما يحيلنا إلى ملاحظة اهتمام بعض قوى وأطراف في المجتمع الدولي، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج والاتحاد الأوروبي، ومعظمهم أعضاء دائمون في مجلس الأمن، لإبداء اهتمام وقلق زائدين بضرورة تولّي قيادة مدنية للفترة الانتقالية في البلاد. الجنرالات الممسكون بالسلطة التي أزاحت، بسيناريو خفي وماكر، رئيس وزراء الفترة الانتقالية من المشهد السياسي السوداني. تعاظمت شكوك الشباب الثائر في نيات الجنرالات من الاستفراد بالسلطة، وفي مزاعمهم السعي إلى تأمين الانتقال نحو الديمقراطية، بل رأوا الجنرالات يعملون على بناء نظام استبدادي عسكري، لن يكون إلا امتداداً لنظام الطاغية البشير الذي أسقطته ثورة ديسمبر 2018.

(4)

ظلت تدخّلات أطراف المجتمع الدولي المهتمة بتطوّرات أوضاع السودان، وما بذلتْ من ضغوط حذرة باتجاه اللاعبين في الساحة السودانية، فإنها لمْ ترَ إجمالاً أيّ منطق في الخيارات الصفرية، أي التي تنتهي بأنتصار فريق على فريق، وبقاء فريق وفناء آخر. بل نَرى جميعها، وممّا صدر عنها من بيانات وتصريحات، تجنبا لخياراتٍ كارثية، أنّ الحوار يظلّ هو السبيل الأوفق بين جميع الأطراف. لقد تابعتْ أطرافُ المجتمع الدولي المهتمة بعضَ الجهود الداخية التي بادرت إليها أطراف سودانية، من قيادات سياسية تقليدية، وأخرى من شخصيات أكاديمية فيهم أساتذة الجامعات، وثالثة ورابعة من مختلف كبار المواطنين السودانيين وكرامهم، لكنها جميعها لم تسفر عمّا يمكن وصفه باختراق حقيقي نحو حلحلة الأزمة المتصاعدة، في مشهدٍ تتسيّده تظاهرات احتجاجية عارمة في العاصمة الخرطوم وفي معظم المدن السودانية. ويواجه بعنفٍ المستضعفين، واضطهد الأمم أو الشعوب في بضع سنين، ولكن حوارات عقل وفكر، القفز فيها على منبر التحريض فشل ذريع، حين يُعجزها الردّ، بل وأحياناً الفهم عن مقام المواجهة المنطقية لمعارضته، فنموذج حلاق اليوم بعد أن كُشف الستار دعوة إلى الشباب العربي، من جديد، بالتمهل وعدم الإقرار لحملات التحريض الدعائي المسيّسة أو الموظفة في صراع التيارات، فأول شروط النهضة احترام مساحة الرأي

> من الطبيعي، إذا ما تعذّر الحلّ الداخلي، أن يُنتظر من بعض المنظمات الإقليمية أن يكون لها دورٌ يساعد في الحلحلة

مفرطٍ في أكثر الأحوال، من القوات الأمنية المؤتمرة بأمر الجنرالات. بدا واضحاً انسداد الأفق الداخلي في التوصّل إلى حلول لهذه الأزمة الطاحنة، وذلك ما فتح الباب لاقتراح مبادراتٍ تأتي من الخارج.

(5)

من الطبيعي، إذا ما تعذّر الحلّ الداخلي، فقد يُنتظر من بعض المنظمات الإقليمية أن يكون لها دورٌ يساعد في الحلحلة. هنالك الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، لكنها إلى العجزأقرب وليس إلى الفعالية، إذ لا تملك إلا لسانا لا يبعد كثيراً عن اللسان الرسمي المصري، فلم يصدُر عنها ما يدعم طرفاً على طرف، أو يدين طرفاً آخر على طرفٍ آخر. أما الاتحاد الأفريقي فقراره التلقائي إثر وقوع الانقلاب، تجميد عضوية السودان فيه سدّ الباب تماماً أمام قبول أيّ مبادرة منه. وعلى الرغم من ذلك، حاول رئيس الاتحاد، وعلى الرغم من تعاطفه الخفي مع الجنرالات ربّما لحاجة تتصل بمستقبله السياسي في بلاده تشاد، آثر أن يرسل مبعوثه السابق إلى السودان، والذي شارك بفعالية في ترتيبات (وصياغة) الوثيقة الدستورية التي وضعت الأطر القانونية لتنفيذ الفترة الانتقالية عام 2019، لكن مبادرته لم تجد، للأسف، ترحيباً من جنرالات الخرطوم.

كلمة أخيرة، أو هو حلم أخير: أن تكون المبادرة الخارجية التي سترعاها الأمم المتحدة خالصة النيات وصادقة الغرض.

(سفير سوداني سابق)

هل سقطت محاكمة وائل حلاق؟

مهنا الحبيل

النقلة التي حققها برنامج «المقابلة» في قناة الجزيرة لصالح مدرسة الفلسفة الأخلاقية الجديدة التي يُعتبر وائل حلاق من أبرز شخصياتها اليوم لم تُسبق، فقد حققت قفزة كبيرة وقوية لصالح هذا التيار المعرفي، ولدعم انطلاقة البحث الجديد عن معادلة المعرفة الإسلامية، الضعيفة في اهتمام كلا المنهجين، أروقة الفلسفة الغربية وإمبراطوريتها الأكاديمية، ومدارس التراثيين والتربويين الإسلاميين التي تُبعث من جديد، وتُحاول أن تصل إلى منظومةٍ متماسكةٍ من التراث ذاته، بعضها يدور في أزمة التراث ذاته، وبعضها يحاول أن يخرج من الأزمة المزدوجة ويُحرّك رؤيته، نحو فضاء المعرفة المتجدد.

وليس من المعقول أن يعرض جهد وائل حلاق الضخم، في 80 دقيقة تلفزيونية، ولا حتى أن يُقدّم خلاصة متماسكة لمجمل أفكاره أو رؤيته، خصوصاً أنّ لغة التفكيك وإعادة الاعتبار التي دافع عنها حلاق، ومعه كما يقول بعض الحلفاء قبل انسجامه مع طه عبد الرحمن، كانوا جميعاً في هامش محدود، حتى لو قلنا إنهم خارج الحصار الأكاديمي، لكنّهم استثمروا هذا الرواق القوي في قلاع الفلسفة الغربية، ووصلوا إلى تحقيق خطوة كبرى لصالح الإنسانية، فخُرقت بوابة حرية أهم للعالم من جدار برلين. وهذه المقالة مختصة بهذا الجانب، وليس بنقد موقف حلاق من إصلاح الحداثة الذي قد نعود له.

نجاح البرنامج هو ما تستطيع أي مادة تلفزيونية أن تعمله، تسليط الضوء على مركز القضية الفكرية أو الفلسفية التي يُمثلها الضيف. وهنا حدثت المفاجأة لأوساط إسلامية كثيرة، خصوصاً التي كانت تُعمي الأيديولوجيا رؤيتها البصرية والسمعية، عن فهم الحقيقة العلمية أو المعرفية أو الفكرية عن المؤلف أو الباحث، من كاتب المقال حتى الفيلسوف المتميز كوائل حلاق.

لقد سقطت الأكذوبة الكبرى واللغة الدعائية عن وائل حلاق، حتى ظنّ بعضهم أنّ حلاق بات يُنافس الرؤى الإسلامية المحافظة المغلقة لتصورات الإسلام عن الحياة، وأنه قلمٌ شرس ضد كل الحضارة الغربية، لا مهادنة لديه ولا تراخي، وفي كلا الأمرين زاوية اشتراك وقوس افتراق مهم، لا يسعنا أن نعرض له اليوم.

ما يجب التوقف عنده هنا قبل المضي في رحلة حلاق، وأسئلة الفراغ التي تبرز لنا، من خلال شراسة دفاعه عن إنسانية الإسلام وتوحّش مادية الغرب، هو أن يؤخذ هذا الدرس إضاءة نوعية للعقل المسلم المعاصر. الأزمة التاريخية العميقة التي تسببت بمذبحة فكرية كبرى للعقول الإسلامية المبدعة (وهي زاوية أخلاقية حرجة) أن يؤخذ الرأي عن المفكر من خلال لسان التحريض لا عقل التبصّر المنير، وهكذا يُراكم ضحايا الفكر وأسئلة العقل المتجددة بين الإسلام والحياة وتطورات العصر.

إنّك قد تعجب من أنّ ترديد بعض الإسلاميين أسماء، كعلي عزت بيغوفيتش وعبد الوهاب المسيري ومالك بن نبي وآخرين، لا يقوم في أحيانٍ كثيرة، على تبنّي رؤاهم وفلسفتهم، وإنّما لتوظيف أسمائهم، أو وضعها كشعلة ديكور لهذا الخطاب الإسلامي أو ذاك، فضلاً عن الشخصيات الأخرى التي تُدمغ بالعلمانية أو التكفير المطلق لإسقاطها، رغم أنّ ما لديهم من المشتركات مع العقل المسلم، أو مفاهيم الحضارة، يوجب السماع، ويؤكّد التقاطع الإيجابي المهم. وبالطبع، الجمهور هنا يتلقى إشارة التحريض، وهو مشحون من انهيار واقعه وإحباطه، فينفّس في تلك الأسماء التي دفعها مشروع التوظيف إلى صخب الصراع.

ووائل حلاق، كغيره من المبدعين في خدمة نظريتهم، قدّم رؤية تستحق التقدير، ولا تُلزم بالتقليد. وعليه، فإنّ مناقشته والرد عليه ميدان مفتوح لحوار العقل والفكر، وليس لأقانيم القهر والشيطنة، فالحوار هنا ليس مع مشروع وظيفي سياسي غربي أو عربي في قبضة الاستبداد، أنزل البأس على

> وائل حلاق قدّم رؤية تستحق التقدير، ولا تُلزم بالتقليد. مناقشته والردّ عليه ميدان مفتوح لحوار العقل والفكر

وبرتوكول الحوار، وشرف المعركة الفكرية لا زغل النفوس ولا ضجيج الجمهور، ومن لم يسعفه عقله للفهم، أو غلبت عليه نزوة كرهه لعلو كعب غيره في فكرة أو مشروع، فقد خسر الشرط الأخلاقي الذي تسمو به الأمم.

أما مدخل مشروع حلاق فهو يتوجه إلى تحرير البصر والبصيرة الفلسفية المغيبة عقوداً أو قروناً، عن خلاصات هذه الرحلة التي تهيمن عليها قوة عالمية في الغرب، وطرح أسئلة المصلحة الإنسانية الكبرى: هل معدلات الموت - الشقاء - الاضطراب النفسي - التوتر الاجتماعي - المصالحة الإنسانية - التعايش الأممي - البيئة الصحية - الأخلاق في سلوك الشركات والأسواق والطب وصناعة الدواء - الحروب والأسلحة - تاريخ العالم ونهايته بناء على إنتاجية العالم الحديث في السلاح وفي تلوث البيئة، ثم الفزع النفسي وتدمير النظام الاجتماعي الفطري بالجندر المثلي، وهي كلّها تقوم على مادية الحداثة ومركزية الإنسان الإله، فهل هذه معدّلات إيجابية بمفهوم الأسرة العالمية الواحدة؟ أم أنها مقدمة حقيقية لفنائه، بعد أن هيمنت الرؤية الغربية وفُرضت عقيدة التقدّم الإبادي التي يقود بها الشمال الرأسمالي بشقه الأوروبي الأميركي والروسي ثم الصيني عالمنا اليوم.

(كاتب عربي في كندا)

2022 واحتمالات الموجة الثورية الثالثة

حيّان جابر

شهدت المنطقة العربية موجتين ثوريتين شعبيتين منذ نهاية عام 2010 الذي أعلن انطلاق الموجة الثورية الأولى من تونس، لتتبعها مصر وليبيا واليمن والسورية، من دون أن ننسى رياحها التي طاولت الأردن والمغرب والجزائر والعراق ولبنان أيضا، حيث كان لنظام الأسد دور جوهري في إخماد هذه الموجة، بحكم دمويته وإجرامه غير المسبوق، في تاريخ المنطقة ونسبيا في التاريخ الإنساني، تجاه شعبه الأعزل. ثم تلقت شعوب المنطقة انتكاسات وصدمات وضربات عديدة بعد خمود لهيب الموجة الثورية الأولى، الأمر الذي أرهق كاهل الشعوب المرهقة أصلا، كما تصاعد دور أجهزة القمع السلطوية على طول منطقتنا الإقليمية وعرضها، وازداد التنسيق الأمني بين الأنظمة الإقليمية بغرض تلافي خطر استيقاظ المارد الشعبي. لكن ذلك كله لم ينجح في الحؤول دون اندلاع الموجة الثورية الثانية عام 2019، في كل من العراق ولبنان والجزائر والسودان، حيث مثل الحراك الثوري السوداني نموذجا رائدا على مستوى المنطقة، بما يخص الهياكل التنظيمية والطبيعية السلمية، في حين بثّ الحراكان، اللبناني والعراقي، الأمل في الخلاص من وثنية الفكر والنفوذ والقوى الطائفية في كل منهما، وفي مجمل المنطقة، ثم انتهت الموجة الثانية ظاهريا إلى الخلاصات ذاتها التي انتهت إليها الموجة الأولى، مع تغيير شبه وحيدٍ، لكنه تغيير رئيسي، يتمثل بفشل النظم في كبح جماع الشارع المحتج ولو آنياً، إذ ما زالت شوارع لبنان والعراق والجزائر تشهد تحركاتٍ احتجاجيةً شبه دورية، وإنْ محدودة العدد وربما فئوية أحيانا، في حين أبدع ويبدع الشارع السوداني في مظاهراته المليونية الدورية شبه الأسبوعية منذ انقلاب قائد الجيش، عبد الفتاح البرهان، في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي. في المقابل، لا يصحّ الحديث عن موجات المنطقة الثورية من دون المرور، ولو سريعا، على أوضاع النظام الرسمي الإقليمي الذي شهد، منذ نهاية العام المنصرم 2020، تقاربات جمة تكاد تنهي جميع الخلافات التي تأججت سابقا بين مكوناته، من عودة العلاقات القطرية - السعودية إلى التقارب التركي المصري والسعودي والإماراتي، وصولا إلى التطبيع الإماراتي والمغربي والبحريني والسوداني مع إسرائيل، مرورا بالتقارب الإيراني السعودي والإماراتي. وكما خبرنا من تجارب سابقة، وأكّدتها بعض الحقائق الراهنة، يمثّل الهم الأمني، سيما الداخلي منه، المفصل الأهم في طي صفحة الخلافات الإقليمية وعودة العلاقات الرسمية والمعلنة بين النظم. لذا تصدّرت أنباء الموقف من المعارضات والمعارضين مجمل الأخبار المسرّبة عن التقاربات والمفاوضات الإقليمية الحاصلة، والتي تتحدث بمجملها عن تضييق الخناق على المعارضين إقليميا، كما بتنا نشهد أخيرا في تونس وتركيا تحديدا.

إذاً، تتقارب النظم وتتوافق على محاصرة الشعوب وضبطها بشكل مباشر أو غير مباشر، كما تضيق المساحات الداخلية يوميا بفعل تزايد توغل نشاط الأجهزة الأمنية، في وقتٍ تتزايد فيه الأعباء الاقتصادية والاجتماعية التي تكسر ظهر المواطن، وتدفعه نحو حافّة الهاوية؛ الموت جوعا أو مرضا أو حزنا؛ حتى تكاد تنحصر خيارات المواطنين بين ثلاثة، إما السقوط المدوّي موتا يصنف طبيعيا أو مواجهة عنف السلطة المسيطرة وفسادها وإجرامها، أو هجرة الوطن بطرق غير شرعية غالبا، حيث مثلت الهجرة غير الشرعية المخرج شبه الوحيد أمام شعوب في المنطقة على مدار العامين السابقين. وربما يصحّ القول، على مدار العقد المنصرم، سيما في الدول التي شهدت أعلى درجات إجرام القوى والأنظمة المسيطرة، كما في ليبيا واليمن وسورية، غير أن التدقيق في الأوضاع والظروف الإقليمية والدولية الراهنة يكشف مدى التحولات التي شهدتها بما يخص اللجوء والهجرة، شرعية كانت أم غير شرعية، إذ تعمل دول الاتحاد الأوروبي على إغلاق جميع حدودها، حتى لو كلفها ذلك تشييد جدران فصل عنصري عالية ومحصّنة بأحدث التقنيات الأمنية، حتى لو أدت إلى قتل المقتربين منها، غير عابئةٍ بالقيم الإنسانية والحقوقية التي تتشدّق بها عادة. وكذلك تبذل تركيا جهودا حثيثة لإغلاق حدودها أمام الهجرات غير الشرعية، ولاسيما من سورية، وتبحث عن أي وسيلةٍ لترحيل ولو جزء من المقيمين على أراضيها عبر اعتقالهم وترحيلهم إلى الداخل السوري، أو من خلال تسهيل القيود على حدودها المشتركة مع دول الاتحاد الأوروبي، غير عابئةٍ بالمصير الأسود الذي سوف يلقاه المهاجرون غير الشرعيين نحو أوروبا

> مقبلون في العام الجديد على موجةٍ ثورية ثالثة ذات عزيمة ومشاركة شعبية أكبر، وبامتداد جغرافي أوسع

خارج حدودها الرسمية. أي ومع بدايات العام الجديد بات احتمال الهجرة واللجوء الخارجي يناهز الصفر، فالطرق باتت شحيحةً، واحتمالات الموت بالمتوفر منها غرقا أو بردا بات أكبر وأعلى، الأمر الذي أدّى إلى تقليص خيارات الشعوب وحصرها في خيارين، الموت جوعا وبردا وفقرا وقهرا داخل بلداننا الوطنية، أو الانتفاض والثورة على السلطة الفاسدة الحاكمة، رغم عنفها وإجرامها الذي لا يرحم أحدا. لذا بتنا نسمع مزيدا من الأخبار عن مواطن هنا أو هناك قرّر إنهاء حياته طوعيا؛ انتحارا؛ نتيجة فقدانه الأمل بحياة حرّة وكريمة داخل الوطن، وبحكم العجز عن تأمين حاجات أطفاله وأسرته الأساسية، فهذا الخيار الفردي لا يقدّم أو يؤخر شيئا على مستوى الواقع المعاش، لكنه ينهي معاناة المنتحر اليومية، ويحمّل الباقين أعباء إضافية على المستويين، النفسي والمعيشي.

وبالتالي، وعلى الرغم من الصعوبات والظروف القاسية اليوم، وعلى الرغم من الإحباط واليأس المعشش في النفوس، أعتقد أننا مقبلون في هذا العام الميلادي الجديد على موجةٍ ثورية ثالثة ذات عزيمة ومشاركة شعبية أكبر، وبامتداد جغرافي أوسع، وباحتمال نجاح أكبر، خصوصا إن تمكّنت من تطوير هياكلها التنظيمية أولا، ومن ضمان ديمومتها النضالية ثانيا.

(كاتب فلسطيني)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ◻ مدير التحرير **ارنست خوري** ◻ المدير الفني **إميل منعم** ◻ السياسة **جمانة فرحات** ◻ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ◻ الثقافة **نجوان درويش** ◻ منوعات **ليال حداد** ◻ الرأي **معن البياري** ◻ المجتمع **يوسف حاج علي** ◻ الرياضة **نبيل التليلي** ◻ تحقيقات **محمد عزام** ◻ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
◻ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
◻ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

◻ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
◻ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
◻ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
◻ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads